مجلة فصل الخطاب Journal of Faslo el-khitab
ISSN:1071-2335/ E-ISSN:2602-5922/ Legal Deposit N°: 2012-1759
مجلد 11، عدد رقم: 03، سبتمبر 2022، صص: 225- 232

تاريخ الاستلام(2022/07/12)تاريخ القبول (2022/09/24)تاريخ النشر (2022/09/30)

فاعليه الانتقائية للنصوص الأدبية الآليات والجماليات

The Selective Effectiveness of Literary Texts Mechanisms and Aesthetics

بن مسعود قدور

جامعة ابن خلدون .تيارت، (الجزائر)، abousoheib1438@gmail.com

ملخص:

تشرئب العقول والنفوس للدراسات المتعلقة بماهية النصوص وتقنياتها والآليات التي تضفي عليها الجمال والكمال، ونأمل أن تكون هذه الدراسة ملمحا لبعض القضايا التي رسمت للقارئ عناصر جوهريه أو فرعية يستعين بها لعملية شملت الجانب النظري أكثر منه تطبيقي في انتقاء النصوص، ليس بغرض السباحة في عالم الخيال أو الانسياب مع الأساطير وتاريخها، بل القصد كان محصورا في سرد عدد من الآليات التي نحسبها أن تكون معالم للنص الذي ينشد المثالية في مضامينه وبذلك يسمو للجمال والكمال وويحتل بجدارة مكانة للمقروئية

الكلمات المفتاحية: النص، الجمالية، الانتقائية، اللغة، الموضوع، الإبداع

Summary

The internalization of minds and souls for studies related to the nature of texts, their techniques, and the mechanisms that give them beauty and perfection, and we hope that this study will be an indication of some issues that have drawn the reader essential or sub-elements that he uses for a process that includes the theoretical aspect rather than practical in selecting texts, not for the purpose of swimming in the world of imagination. Or the flow with myths and their history, rather the intent was confined to the narration of a number of mechanisms that we consider to be landmarks of the text that seeks idealism in its contents and thus transcends beauty and perfection and occupies a well-deserved

المؤلف المرسل: قدور بن مسعود، **الإيميل:** abousoheib1438@gmail.com

position for readability.
Keywords: text, aesthetics, selectivity, language, topic, creativity

قَبلَ الحديثِ تنطوي آليات التلقين المعرفي لفائدة شرائح المجتمع، ضمن سلسلة من المرجعيات تحويها قوالب لغوية يطلق عليها ما يسمى بالنصوص ولا أخال أن لفظة النص قد تبعث في ذهني المتلقي، أجزاء متفرقة من المفاهيم تحمل صبغة من الأغراض المتعددة، وذلك بحسب كل متمرس في ميدانه المعهود، فالنص عند الفقيه المشرع يكتسب دلاله التشريع واستنباط الأحكام، وعند اللغوي أو الأديب نسيج من الجمل تتراص بغية تصوير المعاني في ذهن المتلقي، بيد أن الغاية التي نود استكشافها مناطها كيفية انتخاب النصوص للفئات المتعلمة، وهل هذه العملية يسبقها تخطيط محكم ومنظم ؟وكيف يمكننا أن ننجح في نثر ونشر النصوص على نطاق أوسع يشمل جميع الفئات، وتفادي السقوط في شبكة الإقصاء

مفاهيم حول النص

من الإلزاميات التي تشمل جميع أو اغلب المصطلحات، تقديم الفهم اللغوي لها حتى يتجلى المعنى الأصلي ومنه تتفرع جميع المعاني المجاورة والفرعية لذلك اللفظ، فلفظ النص قد ورد في كتب المعاجم وكلها تحوم حول معنى الرفعة، من ذلك ما ورد في مادة (نصص) عند ابن منظور قائلا " نصص النص رفعك الشيء نص الحديث ينصه نصا رفعه وكل ما اظهر فقد نص وقال عمرو بن دينار ما رأيت رجلا انص للحديث من الزهري أي أرفع له وأسند "[1] وشارك هذا المعنى صاحب معجم مجمل اللغة ابن فارس قائلا النص رفعك الشيء تقول نصصت الحديث، أي رفعته إلى صاحبه، نص كل شيء منتهاه"[2] يبدو جليا أن المعاجم اتفقت على معنى الرفعة التي يتميز بها مصطلح النص، وكأن النص يترجم فعاليته ودلالته على الآليات الأخرى التي يعتمدها الأسلوب في الإفهام مثل الجملة والفقرة والعنوان وغيرها، بيد أن الفهم يزداد بيانا إذا أردفنا للمعنى الأصلي للنص مفاهيم أخر تحوم حول المفاهيم الاصطلاحية لأهل الاختصاص، من ذلك من يرى أن" النص هو أكثر من مجموع الكلمات، الجمل، أو الفقرات التي تكونه، والكثير من العلاقات بين الكلمات الجمل أو الفقرات هي ضمنية ويجب استنتاجها أنها غير معلنة بوضوح على سطح النص"[3] صاحب هذا التعريف جعل النص شبكة من العناصر تتآلف فيما بينها مثل ترابط الكلمات التي بدورها تنساب للوصول إلى رصف لحمة من الفقرات، فتتوالد الفكرة تلو الفكرة قصد رسم صورة على الموضوع المقصود، ويتجلى هذا الفهم معتمدا على آليات الرسم والصورة" من حيث الشكل النص هو متتالية مرتبه من الأشياء المرسومة أو المطبوعة المستعملة كإشارات أو المقدمة على صورة خطبة تبعا للاصطلاحات الخاصة باللغة المكتوبة"[4] فالنص بهذا التصريح

يجب أن تتماسك فيه العناصر الداخلية من موضوع وأفكار من جهة ومضامين مؤولة والعناصر الخارجية من إشارات وتصورات عقليه من جهة أخرى تشابه نفس الإشكاليات التي يطرحها هذا النص

لا يمكن أن نعتبر هذا النص وجد اعتباطا أو سقط من السماء ينتظر من يحتضنه فلا غرو أن تكون "كتابة النصوص هي عبارة عن رسم حروف وخط كلمات وجمل ولكن أيضا وخاصة وضع رسالة تبغي فكرة الكاتب وإعلامي المتلقي"[5] إننا ندرك تمام الإدراك بوجود علاقة دائمة بين كاتب النص وقارئه وان "استيعاب النصوص هو نشاط إدراكي يعرف بأنه تفاعل بين نص وقارئ يأخذ مكانه ضمن سياق محدد" [6] علما ومن المتفق عليه عند جل المتعلمين أن "تجليات الاستيعاب تتطور مع السن وهذا شيء معترف به عموما " [7]

هذه التفاصيل التي أوردناها ضمن مفاهيمه بالضرورة استقلالية المصطلح وتمتعه بكافة الصلاحيات التي تجعل منه عنصرا جوهريا مستقلا، حيث أن "النص باعتباره آلية إنتاجية وفعلا تواصليا له كينونته الخاصة والفريدة المميزة له عن غيره من أشكال التعبيري الكلامي وغير الكلامي" [8] يستنبط من هذا التعريف أن النص لا يتقيد بالجنس الأدبي الذي يصاغ به، بل يرجع الانتماء إلى مبدعه فلا غرو "أن يكون مفهوم النص كلام المؤلف دون تحديد نوعه كان يكون شعرا أو خطبة أو رسالة أو شرحا أو قصة"[9]

إن التركيز حول تحديد المفاهيم لأي مصطلح علمي أو أدبي لا يمكن الفصل فيه بشكل ابدي تام، بل يظل يخضع للاجتهاد وتوليد العناصر والأفكار الجديدة التي تفرضها معطيات الزمان والمكان، مع تدخل عنصري الذاتية والموضوعية في قلب الموازين وقد يصل الأمر إلى إثبات ما كمان منفيا ونفي ما كان مثبتا، والمرجع في ذلك كله تقديم الحجة والدليل ومعرفة الترجيح بين البدائل.

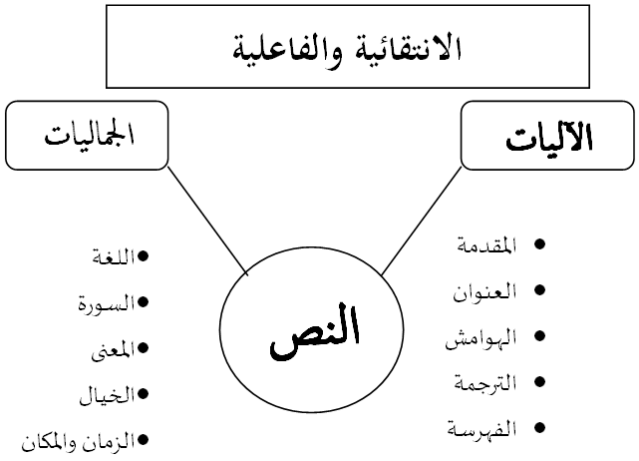

الآليات المسندة في انتقاء النصوص

ربما يتجلى للقارئ عند تناوله للنص، أبجديات منغلقة تحتاج إلي مفاتيح لفك شفرات النص، بيد أن هذه الأبجديات تدعمها آليات تحتاج إليها النصوص من اجل تماسك معانيها وترابط أفكارها، ضمن هذه الآليات تتصدر عناصر لفهم النص ما يسمى "بمراحل مسار الاستيعاب الإدراك والمعالجة والحفظ والاستعادة والعرض ولا يخفى أن هذه النشاطات الذهنية تقوم في وقت واحد على النص نفسه كحافز"[10] نستشعر انه تنفك شفرات النص إلا إذا وظفت هذه العناصر ممزوجة في آن واحد بين الإدراك والحفظ والعرض كما ذكرت، وهذا لا يعني انه يقتصر عليها لوحدها، بل قد يتولد من هذه العناصر، عناصر أخر تسهم في جمالية النص، عنصر الحفظ الذي" تؤثر فيه ثلاثة عوامل وهي : [11]

1. حداثة المعلومات
2. أهميتها النسبية
3. قيمتها الانفعالية

من المسلمات التي تحوط وتنوط بالقارئ وغيره، أن الآليات التي أشرنا إلى بعضها قد لا تلائم كل أنماط النصوص بل تقتصر على بعضها، غير أننا في خضم هذه الإيحاءات أو بالأحرى الاقتراحات الفردية، نحبذ النصوص الأدبية التي شاعت بدورها إذ إن" الحياة اليومية هي عبارة عن مشروع تواصل تكون فيه الرسائل الشفوية أو المكتوبة أساس الحياة الاجتماعية للفرد"[12] وميلنا إلى النصوص الأدبية ليس من قبيل نصرة أو شهرة هذا النمط، بل إن خاصية الأدبية جعلت من النص رسالة فعالة "فالنص الأدبي هو الذي يتميز عن غيره من النصوص الأخرى بالعناية بالطاقة اللغوية التي ترسم الوظيفة الأدبية التعبيرية النابغة من العلاقات الدقيقة التي يشيعها المبدع في نصه "[13] بيد أن هذا الإبداع الذي يصدر من صاحب النص لا يتشكل خارج الإطار اللغوي " فاللغة أداة تعبير ووسيلة نقل الفكر وتوصيل على المستوى الجماعي، أما على المستوى الفردي فهي وسيله تفكير، إذ لا يمكن للفرد أن يفكر بدون لغة"[14] فلو قدر انه تخلينا عن كل الآليات المنثورة في قاموس الجماليات للنص، فلن تظل إلا اللغة التي لا يمكن بحال من الأحوال تعطيل هذه الآلية أو إلغائها يبدو أنها لن تقوم قائمة ولن يستقيم أي جنس أدبي مهما كان، بدليل أن النص هو وصيغة الكلام الأصلية التي وردت من المؤلف"[15]

بالرغم من شيوع اللغة وعدم ملكيتها لأي فرد فوق الأرض، وأن اللغة وسيلة أخرى من وسائل الاتصال وربط العلاقات بين الأفراد والمترجمة للمعاني، لكن ليس من السهل أن الإبداع متاح للجميع، بل يظل مقتصرا وحكرا على نخبة من أهل الفن والإبداع، فلما نعود إلى النص

الأدبي ندرك يقينا إن الدارس لهذا النص "يلتفت إلى تكوين الصور في النص وترابطها وانسجامها مع الفكرة، ويلحظ كذلك طابع الصورة هل هي مادية أو حسية أو معنوية أو خيالية" [16]

إن هذه الصورة التي تزيد النص جمالا لم ترق إلى الجمالية المثالية لولا هذه اللغة المهذبة الكلاسيكية" لان اللغة العامية لغة مبتذلة لا تقوى على إقامة معان ذات إيحاءات متعددة مؤثرة كما هو الحال في اللغة الأدبية"[17]

لا يعزب عن مبدع النص أن تعدد الآليات مهما كانت رفعتها، لا تكون مقيدة لفضاء النص الذي تغمره الأفكار والموضوعات داخله، فالنص ليس بالضرورة موجه إلى قارئ بعينه" لان لكل نص عددا من المعاني وان معانيه وتأويلاته تتعدد حسب تعدد قرائه واختلاف شروط قراءاته وسياقاتها التاريخية والمعرفية " [18] لذلك يجب أو يستحسن قراءة النص بمناهج عديدة لكنها لا تخالف الموضوع ولا تضعه في غير إطاره المعهود حتى لا نظلم صاحب النص ولا نؤوله ما لم يقله، علما أن هذه العملية قد تساعدنا في توليد عدد من في نص موحد، لان "كل نص يمتص أجزاء من نصوص أخرى سابقة أو معاصرة ويستثمرها لحسابه" [19]

إن ولادة نص جديد تفرز تبعات تحكم على هذا النص بمؤشرات انفكاكه عن صاحبه، فينجر عن ذلك نزول النص إلى محكمة النقد والشرح والتأويل، حتى تضطر في كثير من الفترات انه "لا يليق بنا أن نعتمد على ما يقوله الشارح بل يجب أن ننقد قول الشارح كما ننقد النص نفسه" [20] يظل النص تحت طائل التشريح والتفكيك والتحليل بفضل بعض المكونات أو الأفكار التي تحتاج إلى تقويم، قد يظن البعض أن العلاقة الكائنة بين النص والمتلقي مجردة من الأحكام التي تعضده الأدلة سواء كانت عقلية أو نقلية، إن هذه العملية تحتاج إلى تقريب الفهم أكثر فأكثر ولبيان ذلك "فنشبه النص بالمريض فنقول إن أول وظيفة للطبيب هي أن يتحقق هل يكون المريض مريضا في الأصل" [21] انه قمن بنا أن نضيف لهذه السلسلة من الآليات، عناصر أخرى تآزر العناصر التي سبقتها، فالنص الذي يكون محل أنظار وقد اكتملت مضامينه الداخلية، لازال يحتاج إلى مصوغات فرعية خارجية تزيده وضوحا واكتمالا وذلك ما يسميه أهل الاختصاص" بخطابي المقدمات discours préfaciel وهو جزء من نظام معرفي يعرف ب paratexte وتعني مجموع النصوص التي تحيط بمتن الكتاب من جميع جوانبه، حواش، هوامش وعناوين رئيسية وأخرى فرعية وفهارس"[22] لكن قبل أن يصل النص إلى هذه الوجهة تسبقه آلية أخرى ربما يراها الكثير سواء كانوا من الخواص أو من العوام، هذه الآلية تسمى بالعنوان، هذا العنصر الذي يختصر الطريق على القارئ ويكشف مكنون النص من أوله إذا أحسنا اختياره فهو" يقدم معلومات أساس لفهم النص، حيث يتضمن فكرة النص الرئيسية ويتيح للقارئ انتقاء إطار مرجع

لتأويل المعلومات التي يحويها هذا النص"[23] إن اختصار الطريق الذي اشرنا إليه لمعرفة موضوع النص، يتشبث ويعتصم بدرجة كبيرة بعنصر العنوان، فلا غرو أن ينتخب للنص عنوان يصور ويرمز للموضوع بصفه دقيقة، لا يعتريه الشك أو الظن" فالعنوان معناه من وظيفته لان عنوان الشيء دليله ووضعه أن يكون في بداية المصنف لأنه خير من يساعدنا في كشف غرض المؤلف" [24] إن اكتمال الشيء بالنسبة المئوية لا يتسع لكل من هب ودب، ولذلك فالنص الذي لا يحتاج إلى طعن أو نقد أو رأي جدير بالفناء بين أعين صاحبه، يطرح أنفاسه في ساعات معدودة، بسبب هذه الانتكاسة هو فقر النص لكثير من الآليات الجمالية سواء من داخله أو من خارجه، " وحتى يسمى النص نصا يصير وثيقة تقبل الانتقال، ينبغي أن يكون مكتملا فاستوى واستقام" [25] غاية ما هنالك إن الجدلية القائمة اليوم تعلقت بالكيفية التي نتناول بها قراءة هذا النص، حيث طغت على الكتاب وسائل تقنية "جعلت كثيرا من الناس في هذا العصر يلاحظون في عصر سيطرة وسائل الإعلام السمعية والبصرية والاتصال السلكي، المرئي والمسموع عصر الحاسوب والانترنت، أن الكتاب المطبوع سيصبح فائضا عن الحاجة وهو في طريقه إلى الزوال"[26]

ونحن نختم هذه السلسلة من الآليات جدير بنا أن نصرح بيقين ودون تردد ان لانتقائية النصوص جهة يتصدرها طائفة من الفنانين والخبراء يعملون في الساحة العلمية بعامة والادبية بخاصة، لرصف نصوص قد شملتها تلك الآليات الجمالية فتغدوا مثالا ونموذجا شكلا ومضمونا، إننا نسعى لتقديم طرائق تخص النصوص تشع منها بوادر المثالية، لكن الأمر يحتاج إلى جهود مستمرة ومضنية بصحبة تنافس علمي أخوي، ينتظر منه ما ينفع الأجيال القادمة .

مراجع البحث وإحالاته:

1-ابن المنظور ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ت 711هـ لسان العرب، دار صادر، بيروت، ج48 ص 4441.

2- ابن فارس ابو الحسين محمد بن فارس ابن زكريا ت 395 هـ، مجمل اللغة، تحقيق زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسه الرسالة، لبنان، ط2، 1986، ج3.

3- اندري جاك دي شين استيعاب النصوص وتأليفها، ترجمه هيثم لمع، المؤسسة الجامعية للدراسات، لبنان، ط1، 1991. ص19.

4- المرجع نفسه، ص20

5- المرجع نفسه، ص120

6- المرجع نفسه، ص64

7- المرجع نفسه، ص07

8- يوسف الادريسي، النص في التراث النقدي عند العرب، مجله ام القرى لعلوم اللغات وآدابها، المغرب، العدد17، ماي 2016، ص383.

9- عبد القادر ابو شريفه، مدخل الى تحليل النص الادبي، دار الفكر، عمان، الاردن، ط4، 2008، ص 07.

10- اندري جاك ديشين استيعاب النصوص وتأليفها، ص39.

11- المرجع نفسه، ص40.

12المرجع نفسه، ص05.

13- سمير الخليل تقويم النص تفكيك الشفرات النصوص الشعرية والسردية والنقدية، دار غداد، الأردن، ط1، 2016، ص12.

14- عبد القادر ابو شريفه مدخل الى تحليل النص الادبي، ص28.

15-المرجع نفسه، ص07.

16- المرجع نفسه، ص25.

17- المرجع نفسه، ص121.

18- يوسف الادريسي، النص في التراث النقدي عند العرب، ص391.

19-المرجع نفسه، ص387.

20-بريجي ستراسر أصول نقد النصوص ونشر الكتب، دار المريخ للنشر، الرياض، 1982، ص50.

21-المرجع نفسه، ص88.

22- عبد الرزاق بلال، مدخل الى عتبات النص، دار افريقيا الشرق، المغرب، 2000، ص16.

23-أندريه جاك ديشين، نفس المرجع، ص12.

24- عبد الرزاق بلال، نفس المرجع، ص 29.

25- ابراهيم احمد ملحم، تحليل النص الادبي، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، الاردن، ط1، 2016، ص09.

26- عبد اللطيف الصوفي، فن القراءة أهميتها مستوياتها، دار الوعي الجزائر، ط4، 2009، ص20